Journal of Al-Farabi for Humanity Sciences Volume (9)Issue (2)February(2026)

ISSN: 2957-3874 (Print)
Journal of Al-Farabi for Humanity Sciences (JFHS)
https://iasj.rdd.edu.iq/journals/journal/view/95
مجلة الفارابي للعلوم الإنسانية تصدرها جامعة الفارابي

مراجعة مقال((أثر شواهد البديع في توجيه الدلالة في زهر الربيع))

م.م أنوار خليف رجه
جامعة الانبار / كلية التربية للبنات – قسم اللغة العربية
الأميل: anwar.kh.r@uoanbar.edu.iq

المقدمة

تعَدُّ كتبُ البلاغة العربية من أهم المفاصل المعرفية التي أسهمت في بناء الذائقة النقدية واللغوية عند العرب، إذ لم تكن البلاغة علمًا نظريًا مجردًا، بل كانت أداةً لفهم النصوص القرآنية والأدبية، وميزانًا للحكم على جودة القول وحُسن الأداء. ومن بين علوم البلاغة الثلاثة (المعاني، والبيان، والبديع) حظي علم البديع بمكانة خاصة، لما يتضمنه من محسنات لفظية ومعنوية تُظهر جمال الأسلوب وقوة التأثير.

ويأتي كتاب «زهر الربيع في شواهد البديع» للإمام الناصر الدين ابن فِرْقَماس (ت ٨٨٢هـ) ليحتل موقعًا متميزًا في هذا الحقل، إذ جمع فيه مؤلفه شواهد البديع من الشعر العربي، مقدّمًا نصًّا تراثيًا يعكس نضج التفكير البلاغي في القرن التاسع الهجري. وقد تولّى الدكتور وسن صالح حسين دراسة هذا الكتاب وتحقيقه، فجمع بين الأمانة العلمية والدقة المنهجية، وأعاد إحياء نصٍّ ظل حبيس المخطوطات ردحًا من الزمن.

وتهدف هذه الدراسة إلى إلقاء الضوء على هذا العمل من خلال ثلاثة محاور رئيسة: توثيق الكتاب ومصادره، وتحليل أسلوبه، وبيان منهجه العلمي، للكشف عن قيمته البلاغية والعلمية في التراث العربي.

المحور الأول: التوثيق من المصادر

ينتمي كتاب زهر الربيع في شواهد البديع إلى كتب الشواهد البلاغية التي اعتمدت النصوص الشعرية أساسًا للتقعيد والتطبيق، وهو منهج شاع في مؤلفات البلاغيين المتأخرين. وقد استقى ابن فِرْقَماس مادته من مصادر متعددة، في مقدمتها ديوان الشعر العربي بمختلف عصوره، ولا سيما شعر الاحتجاج الذي يُستشهد به في مسائل اللغة والبلاغة.

كما يتقاطع الكتاب في مادته مع كتب بلاغية سابقة، مثل:

(البديع لابن المعتز،العمدة لابن رشيق،الإيضاح وتلخيص المفتاح للخطيب القزويني،شروح البلاغة التي شاعت في القرون المتأخرة)

وقد حرص المحقّق في دراسته على عزو الشواهد إلى مصادرها الأصلية، وضبط النصوص الشعرية، والتنبيه على اختلاف الروايات، وهو ما يظهر بوضوح في منهجه التحقيقي الذي اعتمد المقابلة بين النسخ الخطية، مع الإشارة إلى مواضع الاتفاق والاختلاف. ويُحسب له أيضًا تتبّع أسماء الشعراء، والتعريف بهم عند الحاجة، وربط الشاهد بسياقه الأدبي والتاريخي.

المحور الثاني: الأسلوب

يتّسم أسلوب ابن فِرْقَماس بالوضوح والاقتصاد اللغوي، إذ يغلب عليه الطابع التعليمي، بعيدًا عن التعقيد أو الإطناب غير المبرر. فهو يورد المصطلح البلاغي، ثم يعقبه بالشاهد الشعري مباشرة، دون إسهاب في الشرح، وكأن المؤلف يراهن على ذائقة القارئ البلاغية وقدرته على استنباط موضع الجمال بنفسه.

ويلاحظ في الكتاب:

اعتماد الجملة الخبرية ذات البناء المباشر.

شيوع المصطلحات البلاغية الدقيقة دون شرح مطوّل، مما يدل على توجّه الكتاب إلى قارئٍ متخصص.

غلبة اللغة التراثية الرصينة التي تعكس روح العصر الذي أُلِّف فيه الكتاب.

أما أسلوب المحقّق فجاء مكمّلًا للنص الأصلي، إذ حافظ على لغة المؤلف، وتدخّل عند الضرورة بالشرح والتوضيح في الهوامش، دون أن يطغى صوته على صوت المؤلف، وهو ما ينسجم مع أصول التحقيق العلمي الرصين.

المحور الثالث: المنهج

يقوم منهج كتاب زهر الربيع على التقسيم الموضوعي لفنون البديع، حيث رتّب المؤلف كتابه في أبواب متسلسلة، تناول في كل باب نوعًا من أنواع المحسنات البديعية، مثل: الجناس، والطباق، والمقابلة، والتورية، وحسن التعليل، وغيرها.

ويعتمد المنهج على:

١. التصنيف البلاغي: تقسيم واضح لأنواع البديع

٢. الاستشهاد الشعري: جعل الشاهد أصلًا والمنظومة النظرية فرعًا.

٣. غياب الجدل النظري: إذ يبتعد المؤلف عن الخلافات البلاغية، ويركّز على التطبيق.

منهج التحقيق الذي اعتمده الدكتور وسن صالح حسين، فيقوم على أسس علمية واضحة، منها:

- وصف النسخ الخطية المعتمدة وصفًا دقيقًا.
- اعتماد النسخة الأم مع مقابلة غيرها.
- الالتزام بقواعد نشر المخطوطات من حيث الضبط، والتعليق، والتوثيق.
- إعداد فهارس علمية دقيقة (فهرس الآيات، الأحاديث، الأعلام، الأشعار).

وهذا المنهج جعل الكتاب في صورته المحققة صالحًا للاستخدام الأكاديمي والبحثي.

يتبيّن من خلال هذه الدراسة أن كتاب زهر الربيع في شواهد البديع يمثل إضافة نوعية إلى المكتبة البلاغية العربية، لما يحمله من ثراء تطبيقي في مجال الشواهد، وما يكشفه من نضج في الذوق البلاغي لدى مؤلفه. كما أن تحقيق الدكتور وسن صالح حسين أسهم في إخراج النص في صورة علمية دقيقة، تجمع بين الأمانة التراثية ومتطلبات البحث الأكاديمي الحديث، مما يجعل هذا الكتاب مرجعًا مهمًا لدارسي البلاغة والنقد الأدبي.

الموضوعي للصفحات المختارة من كتاب

أولًا: البنية الموضوعية العامة للكتاب

تكشف الصفحات المعروضة عن بنيةٍ منهجيةٍ دقيقةٍ يقوم عليها الكتاب، إذ قُسِّم إلى أبواب كبرى تمثّل فنون البديع الأساسية، مثل:

الجناس/ ردّ العجز على الصدر/ التوازن/ ردّ العجز على الصدر/ التوازن/ السجع

لزوم ما لا يلزم

ويُلاحظ أن هذا التقسيم لا يقتصر على مجرد العناوين، بل يتفرّع داخل كل باب إلى أنواع وأقسام دقيقة، ما يدل على وعيٍ تصنيفيٍّ واضح لدى المؤلف، وعلى نزعةٍ تعليميةٍ تهدف إلى الإحاطة الشاملة بفنون البديع.

ثانيًا: تحليل باب الجناس

يُعدّ باب الجناس من أكثر الأبواب تفصيلًا في الصفحات المعروضة، حيث يبدأ المؤلف بتعريف الجناس، ثم يقسّمه إلى أنواع متعددة، مثل:

الجناس المضارع/ الجناس اللاحق / الجناس الناقص/ الجناس التام

ويقوم التحليل الموضوعي هنا على ملاحظة أن المؤلف:

١. ينطلق من التعريف ثم ينتقل إلى التقسيم.

٢. يُكثر من الشواهد الشعرية، ويجعلها محور العرض.

٣. يربط بين الجناس والصوت والمخرج، وهو ربط لغوي دقيق يدل على تداخل علم البلاغة مع علم الأصوات.

كما أن المؤلف لا يكتفي بذكر المثال، بل يوضّح وجه الجناس من حيث:

الاشتراك اللفظي /الاختلاف في المخرج /التفاوت في المعنى

وهذا يجعل الجناس عنده ظاهرة لغوية جمالية، لا مجرد تلاعب لفظي.

ثالثًا: تحليل باب ردّ العجز على الصدر

يُبرز هذا الباب اهتمام المؤلف بالبنية الإيقاعية للنص الشعري، إذ يعرّف ردّ العجز على الصدر بوصفه إعادة لفظية أو معنوية تُحدث انسجامًا داخليًا في البيت.

يفرّق بين التكرار اللفظي والتكرار المعنوي.

يقسّم الفن إلى أربعة أنواع، مع التمثيل لكل نوع.

يركّز على العلاقة بين أول البيت وآخره، بما يحقّق التماسك النصي.

ويُلاحظ أن هذا الفن عند ابن فِرْقَماس لا يُعرض بوصفه زخرفة شكلية، بل باعتباره عنصرًا من عناصر الترابط الدلالي والإيقاعي في الشعر.

رابعًا: تحليل باب التوازن

يكشف باب التوازن عن نزعةٍ دقيقةٍ في قراءة البنية التركيبية للشعر، حيث يعرّف التوازن بأنه تقابلٌ لفظي أو معنوي بين أجزاء البيت دون اشتراط التماثل التام في الوزن أو الروي.

ومن خلال الأمثلة، يتبيّن أن المؤلف:

يفرّق بين التوازن المماثل وغير المماثل./يركّز على التقابل الدلالي أكثر من التقابل الصوتي.

يعالج التوازن بوصفه مظهرًا من مظاهر الانسجام البلاغي لا العَروضِي

وهذا يدل على تطوّر في النظرة إلى البديع، حيث لم يعد مقصورًا على المحسّنات اللفظية، بل شمل البناء الدلالي للنص.

خامسًا: تحليل باب السجع

يُبرز باب السجع عناية المؤلف بالنثر الفني، ولا سيما السجع الذي يرد في الخطب والرسائل. ويقسّم السجع إلى:

السجع المطرف/ السجع المتوازي/ سجع الترصيع

ويُلاحظ في التحليل الموضوعي أن:

المؤلف يوازن بين الموسيقى اللفظية والمعنى.

يقدّم شواهد تُظهر حُسن السجع لا تكلفه.

وهذا يعكس موقفًا نقديًا ضمنيًا من الإفراط في الزخرفة اللفظية.

سادسًا: تحليل باب لزوم ما لا يلزم

يمثّل هذا الباب ذروة التعقيد الفني في الكتاب، إذ يتناول التزام الشاعر بحروف أو قيود إضافية لا يفرضها الوزن أو القافية.

يعرّف الفن تعريفًا دقيقًا/ يربطه بالقدرة الشعرية والتمكّن اللغوي./ يقدّم شواهد تُظهر البراعة دون إخلال بالمعنى./ كما يظهر في هذا الباب تداخل واضح بين:

البلاغة/ العَروض/ الذوق النقدي

الموضوعي للباب السادس إلى الباب الحادي عشر

أولًا: الباب السادس – حُسن التخلّص

يعالج المؤلف في هذا الباب فنَّ حُسن التخلّص بوصفه انتقالًا فنيًا سلسًا من معنى إلى معنى آخر، من غير فجاءة ولا تكلّف، مع بقاء وحدة القصيدة أو الكلام محفوظة.

ويُفهم من النص أن التخلّص ليس مجرد مهارة شكلية، بل هو مقياس للبراعة البلاغية، إذ يدل على تمكّن الشاعر أو الناثر من السيطرة على المعاني وتوجيهها.

ويُبرز المؤلف ثنائيةً واضحة:

التخلّص الحسن: وهو من صميم فن البديع، ويُعدّ علامة نضجٍ فني.

التخلّص القبيح: الذي يقطع السياق أو يُشعر بالتكلّف، وهو خارج دائرة الإحسان البلاغي.

ثانيًا: الباب السابع – التشريع

ينتقل الكتاب إلى فنٍ دقيق هو التشريع، وهو من الفنون التي تمسّ بنية البيت الشعري مباشرة.

ويُعرّف التشريع بأنه بناء البيت على قافيتين أو تركيب يُشعر بازدواجية الإيقاع، مع محافظة المعنى على وحدته.

ويُلاحظ موضوعيًا أن المؤلف:

يربط التشريع بالإيقاع العروضي أكثر من ربطه بالزخرفة اللفظية.

يفرّق بين التشريع وبين ما قد يُشبهه من فنون كالتوشيح أو التصريع.

يجعل من الاعتدال شرطًا أساسًا، فلا يكون التشريع مخلًا بالمعنى أو الوزن.

وهنا يتجلّى وعي المؤلف بأن البديع لا يُقاس بكثرة القيود، بل بقدرة النص على تحمّلها دون ضعف

ثالثًا: الباب الثامن – الاقتباس

يمثّل هذا الباب بعدًا دلاليًا وأخلاقيًا في البلاغة، إذ يتناول الاقتباس من القرآن الكريم والحديث النبوي.

ويُعرّف الاقتباس بأنه تضمين ألفاظ أو معانٍ من النصوص المقدسة في الكلام الأدبي، مع مراعاة السياق.

يفرّق بين الاقتباس المقبول وبين السرقة أو التشويه.

يوسّع مفهوم الاقتباس ليشمل الفقه والنحو والعروض، مما يدل على تداخل المصطلحات البلاغية مع العلوم الأخرى.

وهذا الباب يكشف بوضوح عن المرجعية الدينية في النقد البلاغي، وعن إدراك المؤلف لحساسية العلاقة بين البلاغة والنص المقدّس.

رابعًا: الباب التاسع – العقد

يُعدّ باب العقد من الأبواب المركّبة، إذ يقوم على فكرة تضمين كلامٍ سابق (قرآن، حديث، شعر) داخل نص جديد، مع التنبيه أو الإشارة إلى أصله.

ويُقسِّم المؤلف العقد إلى أربعة أقسام:

عقد القرآن/ عقد الحديث/ عقد الكلام المنقول من الشعر/ عقد بيتٍ على معنى بيتٍ آخر

ويُستفاد موضوعيًا أن العقد يختلف عن الاقتباس في كونه أكثر تصريحًا وأقرب إلى البناء على النص السابق، لا مجرد التلميح إليه.

كما يتّضح أن المؤلف ينتمي إلى مرحلة ناضجة من البلاغة العربية، حيث أصبح الحُسن الفني مرتبطًا بالمعنى والسياق، لا بالمحسّنات وحدها.

فيما يأتي تحليلٌ موضوعيٌّ أكاديمي للصفحات التي أرسلتِها، وتشمل الأبواب من السادس والثلاثين إلى الثالث والأربعين من كتاب زهر الربيع في شواهد البديع، مع الالتزام بمنهج تحليلي علمي يركّز على المفاهيم، والبنية، والدلالة، دون تلخيصٍ تعريفيٍّ مباشر.

الباب التاسع والثلاثون – إجراء الهزل مجرى الجد

يعالج هذا الباب ظاهرة بلاغية دقيقة، تقوم على إيراد الكلام في صورة الهزل، بينما يُراد به الجد، أو العكس. ويؤكد المؤلف أن الفارق بين هذا الفن وبين التهكّم يكمن في قصد المتكلم لا في ظاهر اللفظ.

ويُستفاد موضوعيًا أنهذا الفن يعتمد على المفارقة الدلالية./ ستعمل غالبًا في النقد الاجتماعي والسياسي. / يحقق أثرًا بلاغيًا قويًا من خلال كسر أفق التوقع./ ويمثل هذا الباب نضجًا في التفكير البلاغي، إذ يُظهر وعيًا بالوظيفة التداولية للكلام.

ويُختم الباب بتأكيد العلاقة العضوية بين المعاني والبيان والبديع، وأن البلاغة لا تقوم بأحدها دون الآخر.

تُظهر هذه الأبواب أن المؤلف:

١. انتقل بالبديع من كونه علم محسنات إلى علم دلالات وتأثير.
٢. اعتمد التحليل المفهومي لا السرد التعريفي.
٣. قدّم رؤية نقدية متوازنة تجمع بين الذوق والتقعيد.
٤. ربط البلاغة بالسياق النفسي والتداولي.
٥. كما يتضح أن هذه الأبواب تمثّل مرحلة نضج في البلاغة العربية، حيث يصبح المعنى هو المركز، وتدور حوله الفنون البلاغية بوصفها وسائل لا غايات.

- **اسلوب المؤلف**

يتّسم أسلوب المؤلف في زهر الربيع في شواهد البديع بطابعٍ علميٍّ تحليليٍّ واضح، يجمع بين دقّة المصطلح البلاغي، وسلاسة العرض، وحسن الانتقال بين المفاهيم. فالمؤلف لا يكتفي بتعريف الفنون البديعية تعريفًا معجميًا جامدًا، بل يعمد إلى تفكيكها من الداخل، وبيان وظائفها الدلالية، وأثرها في بناء المعنى، مما يجعل أسلوبه أقرب إلى الشرح النقدي منه إلى مجرد التصنيف التعليمي.

ويظهر في أسلوبه اعتمادٌ ملحوظ على التدرّج المنهجي؛ إذ يبدأ غالبًا بالحدّ اللغوي، ثم ينتقل إلى الاصطلاحي، ثم يتبعه بالتقسيم، فالتفريع، ثم التمثيل. وهذا التدرّج لا يأتي اعتباطًا، بل يعكس رؤية تعليمية واعية تهدف إلى ترسيخ المفهوم في ذهن القارئ قبل الانتقال إلى تطبيقاته. كما أن هذا الأسلوب يُبرز حرص المؤلف على الجمع بين التقعيد النظري والاستشهاد النصي، حيث لا يُورد شاهدًا إلا بعد تمهيدٍ يهيّئ القارئ لفهم وجه الاستدلال.

ويميل المؤلف إلى اللغة الواضحة غير المتكلّفة، مع محافظة صارمة على الاصطلاح البلاغي الدقيق. فعباراته، وإن بدت أحيانًا كثيفة المفاهيم، إلا أنها خالية من الغموض المقصود، ويُلاحظ فيها

الاقتصاد اللفظي، والبعد عن الحشو، مما يدل على رسوخ علمي وتمكّن من المادة. كما أن الجمل في الغالب متوسطة الطول، قائمة على التركيب التفسيري، لا الزخرفة الإنشائية، وهو ما ينسجم مع طبيعة الكتاب التعليمية التحليلية.

ومن السمات البارزة في أسلوبه كثرة الاحترازات والتنبيهات، مثل التفريق بين الفن وغيره، أو بيان موضع القبول والرد، أو الإشارة إلى اختلاف وجهة النظر بين البلاغة والعروض أو بين الذوق والتقعيد. وهذه الاحترازات تكشف عن عقلية نقدية لا تكتفي بالنقل، بل تمارس نوعًا من التقويم والفرز، مما يمنح النص مصداقية علمية عالية.

كما يتجلّى في أسلوب المؤلف الحضور القوي للذوق البلاغي؛ إذ لا يطلق الأحكام جزافًا، بل يوازن بين القاعدة والقبول الفني، فيحكم بالحسن أو القبح أو العيب أو الجواز بناءً على أثر الكلام في السمع والمعنى، لا على القاعدة وحدها. وهذا يضع أسلوبه في منزلة وسطى بين الصرامة المدرسية والمرونة الذوقية.

الخاتمة

خلص هذا البحث إلى أن كتاب زهر الربيع في شواهد البديع ليس مجرد مصنَّف في تعداد فنون البديع أو حصر محاسنه، بل هو عملٌ بلاغيٌّ ناضج يعكس مرحلة متقدمة من تطوّر الدرس البلاغي العربي، حيث تتجاوز فيه البلاغة حدود الزخرفة اللفظية إلى فضاء التحليل الدلالي والتأثير التداولي. فقد أظهر التحليل الموضوعي للأبواب المختارة أن المؤلف ينظر إلى فنون البديع بوصفها أدواتٍ لخدمة المعنى، لا غاياتٍ قائمة بذاتها، وأن معيار الحُسن فيها مرتبط بسلامة السياق وقبول الذوق، لا بكثرة المحسنات

وأثبتت الدراسة أن الكتاب يرسّخ مبدأ التكامل بين علوم البلاغة الثلاثة: المعاني، والبيان، والبديع، ويؤكد أن البديع لا يستقيم إلا في إطار هذا التكامل، شأنه شأن المركب الذي لا يقوم إلا بأجزائه مجتمعة. كما أظهرت الأبواب الختامية، ولا سيما باب حسن الختام، وعي المؤلف بالبنية الكلية للنص، وأهمية الابتداء والانتهاء في تشكيل الأثر البلاغي.

وبناءً على ذلك، يمكن القول إن زهر الربيع في شواهد البديع يمثّل مرجعًا بلاغيًا ذا قيمة علمية عالية، يجمع بين أصالة التراث ودقّة التحليل، ويقدّم تصورًا ناضجًا لفنون البديع بوصفها جزءًا من نظام دلالي متكامل. وهو كتابٌ جدير بالدراسة والاعتماد في البحوث الأكاديمية، لما يقدّمه من مادة علمية ثرية، ومنهج نقدي متزن، ورؤية بلاغية تتجاوز الشكل إلى عمق المعنى وأثره.

المصادر

.- ابن فِرْقَماس، ناصر الدين :زهر الربيع في شواهد البديع، تحقيق: وسن صالح حسين، دار النشر (بحسب الطبعة المعتمدة)، مكان النشر، سنة النشر.

- ابن المعتز، عبد الله بن محمد :كتاب البديع، تحقيق: عباس عبد الستار، دار الجيل، بيروت، د.ت.

- ابن رشيق القيرواني : العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق: محمد قرقزان، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٨م.

- الخطيب القزويني : الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، د.ت.